

## تحليل أسباب اتجاه الشاعر سنائي نحو الخطاب الصوفي في "الحديقة" وفقاً لنظرية لوسين جولدمن البنيوية التطورية

هدى پير\*

ناهيد اكبرى (الكاتبة المسؤولة)\*\*

حسين پارسايي\*\*\*

### الملخص

يعدّ سنائي أحد أهم رواد الشعراء الاجتماعيين في تاريخ الأدب الفارسي، يمتاز بأسلوب خاص في الحقبة التي عاصرها. ومن أهم مبادراته الأدبية، إدخال التصوف والعرفان في الشعر الفارسي. فقد أثار اهتمامه بالمجتمع ولاسيما موقفه الخاص تجاه عالم الكون، خطاباً جديداً في مجال الشعر والأدب الفارسيين. وتحليل الخطاب باعتباره مقارنة جديدة في القراءات النقدية للنصوص، يعدّ من أهم الموضوعات في مجال المعرفة اللغوية وعلم اللسانيات ومن منطلق هذا العلم، يتم تحليل وإعادة قراءة النصوص أياً كان موضوعه. ترى نظرية جولدمن الأساسية للبنية التطورية أن هناك خطوتين يجب اتحادهما في تحليل عمل بارز؛ في المرحلة الأولى، التلقى يجب فهم العمل في بنيته، وفي مرحلة الوصف، يجب وضع هيكل العمل في بنيته الاجتماعية. يحاول المقال من خلال المنهج الوصفي التحليلي بتحليل الخطاب الصوفي في حديقة سنائي وفق نظرية "لوسين جولدمن" البنيوية التطورية على مستويين وهما "التلقى" و"الوصف". في مرحلة "التلقى"، يتبين من خلال وصف المكونات الدينية لسنائي في شكل وحدة بنوية ذات مغزى، أن سنائي يخلق طريقة جديدة لمنهج الخطاب بعيداً عن التحيزات الدينية. وفي مرحلة "الوصف"، يتم تحليل العمل الأدبي، من حيث الظروف السياسية والاجتماعية والفكرية والثقافية والمذهبية. فأظهرت نتائج الدراسة أن سنائي كان بصدد اكتشاف خطاب جديد لإصلاح مجتمعه وازدهاره وتطوره بالشكل الذي يناسبه.

الكلمات الدلالية: سنائي، الحديقة، الخطاب، البنيوية، جولدمن.

\*. طالبة دكترا في اللغة الفارسية وآدابها في جامعة آزاد الإسلامية، فرع قائمشهر، إيران  
hoda.pir64@gmail.com

\*\* . أستاذة مساعدة في قسم اللغة الفارسية وآدابها في جامعة آزاد الإسلامية، فرع قائمشهر، إيران  
nahidakbari@mailfa.com

\*\*\* . أستاذ مساعد في قسم اللغة الفارسية وآدابها في جامعة آزاد الإسلامية، فرع قائمشهر، إيران  
hosseinparsaei@gmail.com

تاريخ القبول: ١٣٩٩/٢/٢١ ش

تاريخ الاستلام: ١٣٩٨/٩/١٢ ش

## المقدمة

لا شك في أن الأعمال الأدبية لا يمكن اعتبارها أعمالاً أحادية البعد، لما تمتاز به عادةً من عدّة تفسيرات وتأويلات، وهذا يعني أن النص الأدبي هو عمل متعدد الطبقات يمكن تفسيره بأشكال متعددة اعتماداً على طريقة النقد أو التحليل، مثل تحليل الخطاب والنقد البنوي والنقد الاجتماعي والتحليل النفسي والنقد التكويني وما شابه ذلك مما يحقق إنجازات مختلفة. وما هو أكثر أهمية اليوم في مجال البحث الأدبي، هو التحليل متعدد التخصصات للأبحاث الأدبية. في هذه الأثناء، تسبب الترابط الذي أنشأه الأدب مع علم اللغة وعلم الاجتماع في العديد من النصوص التي نجدتها في مخزون الأدب الفارسي من الشعر والنثر والقصة والرواية، كل ذلك يتم تحليله ودراسته من منظور علم اللغة في ظل التعامل مع نظريات اللغويين وعلماء الاجتماع الحديثين. تعدّ الدراسة السوسولوجية للأعمال الأدبية إحدى طرق البحث الأدبي التي تدرس بنية العمل الأدبي ومحتواه وعلاقته ببنية وتطورات المجتمع الذي تم إنشاء العمل في ظله. في هذه الطريقة التحليلية، يتم مناقشة المجتمع، وصاحب العمل والعمل نفسه في علاقة تفاعلية، بحيث تكون العلاقات بين الأعمال التي تم إنشاؤها في تلك الفترة الزمنية والوضع الاجتماعي وأيضاً الموقف الاجتماعي للمؤلف والمخاطب في إطار تحليل اجتماعي للأدب. ويظهر كنتيجة للأنشطة والعلاقات الاجتماعية والثقافية للخطاب ومن ثم يتم تقييمه ومن خلال ذلك تُحدد حالة الطبقات ونوع السلوك والفكرة والتاريخ والموقف الإيديولوجي والمعتقدات والظروف التي أنشئ العمل في ظله.

من بين الأساليب المختلفة للنقد والتحليل، تركّز هذه الدراسة على تحليل "البنية التطورية" التي تستند إلى نظريات عالم الاجتماع الروماني "لوسين جولدمان".<sup>١</sup> وجولد متأثر بأفكار هيجل، لوكاج، ماركس وبياجيه. يؤمن جولدمان بنوع من العلاقة الجدلية بين المبدع الأدبي والمجتمع المحيط به الذي نشأ فيه. في الواقع، يعدّ العمل الأدبي وفق هذه النظرية، عودة إلى حياة المؤلف اليومية في المجال الأدبي. يقول جولدمان: «أحد المبادئ الأساسية لطريقة علم الاجتماع التي اخترتها... هي سمات حصرية العمل

1. Lucien Goldmann (1913 – 1970).

بأكمله، وبما أن إيجابية علم الاجتماع مرهونة بطبيعتها التاريخية، فإن الطبيعة العلمية والإيجابية لأي بحث تاريخي مرهونة هي أيضاً بطبيعتها الاجتماعية ... لهذا السبب، فإن دراسة الظواهر البشرية - بالنظر إلى بنيتها الأساسية والواقع الملموس - تتطلب طريقة تكون اجتماعية وتاريخية في آن واحد.» (جولدمن، ١٣٩٢ش: ١٧٤) وبالتالي، هناك ارتباط كبير بين الشكل الأدبي للعمل وأهم جوانب الحياة الاجتماعية التي يعبر عنها هذا الشكل. يؤدي اكتشاف هذا الرابط والاتصال ذي المغزى إلى اكتشاف "البنية ذات المعنى"، وبالتالي إلى معرفة مصدر الرؤية العالمية في العمل الأدبي وإدراكه؛ وتشكل القضايا المتعلقة بالعمل الأدبي كالبينة التي نشأ فيها المؤلف والمتطلبات التاريخية التي تسببت في خلقه، الغرض الرئيس في تحليل البنية التطورية التي عبر عنها جولدمن. «في الواقع إن البنوية التطورية للوسين جولدمن، تحمل في طياتها أيديولوجية ونظرة خاصة إلى العالم، وهي بلا شك وجهة نظر مادية دياكتيكية وتاريخية، ولكنها قبل أي شيء، هي الدليل المنهجي لدراسة العمل الأدبي.» (عسكري حسنكلو، ١٣٩٤ش: ١٢٣)

باستخدام هذا النهج واستناداً إلى نظرية جولدمن، وأنه «من خلال دراسة الاتجاهات الأدبية الفارسية السائدة، مثل المؤسسات الاجتماعية، يمكننا تحديد الميول الاجتماعية والسياسية السائدة في كل فترة من الفترات التاريخية لإيران،» (پارسا نسب، ١٣٩٢ش: ٢) يسعى هذا البحث إلى دراسة السياقات الاجتماعية والسياسية والتاريخية التي تؤثر في اتجاه سنائي نحو الخطاب الصوفي. نحن نعلم أنه خلال فترة سنائي، كانت الظروف الاجتماعية والفكرية في ذروتها من حيث وجود الجماعات الدينية والمذهبية، والنزعات الطائفية، والآراء الكلامية، والمعتقدات الفلسفية، والأذواق السياسية المختلفة، وما شابه ذلك. فإن إدخال الخطاب الصوفي في الشعر الفارسي، وسط مديح الملوك والحكام، في مثل هذه الظروف، لا بد أن يكون له جذور تاريخية واجتماعية. بما أن سنائي «شاعر تشكّل الأوضاع التي تحيط به أهمّ هو اجسه وهو يناهض الظلم الاجتماعي واستبداد الحكام وتعسفهم، أصبح شعره من أفضل القصائد الاجتماعية والسياسية للغة الفارسية.» (شفيعى كدكنى، ١٣٨٧ش: ٣٩) لذلك يمكن اعتبار دراسة أسباب هذه الاتجاهات المبنية على نظرية جولدمن في البنوية التطورية في شعر شاعر

اجتماعي بامتياز، مكسباً مشرقاً للبحث والدراسة.

### خلفية البحث

هناك الكثير من الأبحاث أنجزت حول تحليل الأعمال الأدبية التي تتعلق بالبنية التطورية. لاسيما، أن نظرية جولدمن ركزت على تحليل الرواية، ولهذا السبب تم تحليل العديد من الروايات التي يمكن البحث عنها في فترات تاريخية مختلفة ويمكن أن تعيد الزوايا المؤثرة في تاريخ المجتمع، بما في ذلك: "سياسة در اندیشه سنائی" أي "السياسة في فكر سنائی" التي نشرت في وقائع المؤتمر الدولي الذي أقيم تكريماً للحكيم سنائی" تحت عنوان "مدح سنائی" (حسيني، ١٣٩٢ش: ٣٤١) حاول المؤلف في هذه الدراسة أن يكشف الجوانب السياسية لفكر سنائی بمقاربة تحليلية. فقد بدأ الكاتب بحثه بسؤال هام، مؤكداً على أن تفكير سنائی إضافة إلى أبعاده الأدبية والسياسية، له جوانب صوفية عرفانية. والسؤال المطروح: هو "هل تفكير سنائی سياسي في طبيعته أم أنه تابع عن تفكيره الصوفي؟" يرى كاتب المقال أن الآراء السياسية لدى سنائی ظاهرة خارجة عن تفكيره الصوفي ولا صلة بها فيه إلا أنه سرعان ما يلتفت إلى نقطة لا يمكن تجاهلها وهي أن رؤية سنائی الصوفية (العرفانية) قد أثرت في تفكيره السياسي بشكل أو آخر.

- مقال "نقد ساخت گرایي تکوینی رمان همسایه‌ها (نقد البنية التطورية لرواية الجيران) بقلم آرزو شهبازی، مریم حسینی وعسکر عسکری حسنکلو، نشر في فصلية دراسة الروايات، السنة الثانية، العدد ٣، ربيع ١٣٩٣ش، ص ٩١ - ٦٦.

- مقال "بررسی جامعه‌شناختی رمان مهره مار" (دراسة سوسیولوجية لرواية خرزة الحية بقلم محمود اعتمادزاده (به آذین) مع التركيز على نهج البنية التطورية" بقلم حمیدرضا فرضی وبريسا قبادیان، نشر في مجلة الدراسات الاجتماعية، شتاء ١٣٨٨ش، العدد ٥، ص ٨٦-٦٥.

- مقال "از جهاننگری تا کاربرد صنایع بدیعی در غزلیات چهار تن از شاعران مکتب تصوف (با رویکردی بر نظریه ساختارگرایي تکوینی لوسین گلدمن)" (من الرؤية الشاملة حتى تطبيق الصناعات البدعية في القصائد الغنائية لأربعة شعراء من

المدرسة الصوفية (وفق نظرية لوسين جولدمن البنائية التطورية) بقلم ناصر على زاده  
وكمال راموز، نشر في المجلة العلمية للبحوث الأدبية، ربيع وصيف عام ١٣٩٥ش، رقم  
٩، صص ٢٢٣ - ١٨٧.

- رسالة ماجستير: تحت عنوان "تحليل رمان سوشون بر اساس نظرية ساختگرایى  
تكوینی لوسین گلدمن" أى "تحليل رواية سوشون على أساس نظرية البنية التطورية  
للوسين جولدمن"، جامعة كردستان، الطالبة: شريفة مرادى، ١٣٩٢ش.

- رسالة ماجستير: "بررسی تأثیر اوضاع اجتماعی و فکری بر دیدگاههای  
خردگرایانه ناصر خسرو و سنایی" أى "دراسة تأثير الوضع الاجتماعى والفكرى على  
وجهات النظر العقلانية لكل من ناصر خسرو وسنائى"، الطالب: قلندر قروى، جامعة  
ولى العصر رفسنجان، خريف ١٣٩٣ش؛ لم تكن أى من هذه الدراسات ذات الصلة  
في مجال التحليل البنوي التطوري تحاول الحصول على أسباب التوجه إلى الخطاب  
الصوفي الخاص بسنائى. مما لا شك فيه أن الجانب الإبداعى لهذا البحث، يكمن في  
أنه يقوم بتحليل النظام الفكرى والثقافى والسياسى الخاص بسنائى، كما جاء في نص  
حديثه في مرحلة "التلقى"، كما يشير إلى تأثير الأنظمة الخطابية الدينية والاجتماعية  
والسياسية المعارضة والموافقة في تفكير سنائى وموقفه، في مرحلة "الوصف".

### منهج البحث

اعتمد هذا البحث المنهج الوصفى التحليلى، في تحليل قصائد وأمثلة مختارة من  
كتاب "حديقة الحقيقة وشريعة الطريقة" للحكيم مجدود بن آدم سنائى، شاعر وصوفي من  
القرنين الخامس والسادس الهجريين، والذي يعتمد تحليله على نظرية "البنية التطورية"  
التي قدمها الفيلسوف الرومانى لوسين جولدمن.

### نظرية "البنية التطورية" لـ لوسين جولدمن

تستند نظرية لوسين جولدمن في «البنية التطورية إلى العديد من المصطلحات  
والمفاهيم الأساسية التي يمكن من خلالها فهم طريقة جولدمن التحليلية بشكل أفضل.

بحسب جولدمن، فإن «البنية تعنى النظام؛ ويتكون كل نظام من مكونات مترابطة مع بعضها بعضاً.» (شهبازى وآخرون، ١٣٩٣ش: ٧٠) والتي تتضمن إلى حد كبير جملة الأعمال الأدبية التي أنشأت استجابة لحالة اجتماعي معينة والتي سوف يتوصل إليها الباحثون من خلال «القراءة الداخلية للنص». في الواقع، تتطلب هذه البنية ذات المغزى، اتحاد جميع مكوناتها حتى تنتقل من موقف ثابت إلى موقف ديناميكي، وكذلك الاتحاد بين الإنشاء والأداء، في سياق كلي يعتمد على علاقة متبادلة. «هذا المصطلح، بالإضافة إلى التأكيد على وحدة المكونات في العمل، وإظهار العلاقة المتبادلة بين المكونات والعمل بأكمله، يعنى أيضاً الهيكلي الداخلي للعمل الأدبي من حيث طريقة انعكاس الرؤية الكامنة فيه. وبعبارة أخرى، بأى طريقة أصبحت الرؤية العالمية لفئة معينة أو مجموعة اجتماعية في العمل الأدبي العنصر البناء في عالم النص الخيالي؟» (عسكري حسنكلو، ١٣٩٤ش: ١٢١)

لكن اكتشاف هذه العلاقات يتطلب تمرير عمليتين لهما مكانة خاصة في نظرية جولدمن، المصطلحان هما «التلقى» و«الوصف». يقول جولدمن إن التلقى «ليس عملية عاطفية أو كشفية، بل عملية عقلانية عميقة، أى أنه وصف للعلاقات الأساسية التي تشكل بنية ذات معنى ... ولكن في رأى الباحثين، فإن التفسير في العلوم الإنسانية هو إدراج بنية ذات معنى في هيكل أوسع، بنيته الأولى تشكل أحد عناصره المكوّنة.» (جولدمن، ١٣٩٢ش: ١٨٨) في هذا السياق، فإن أى وصف تطورى للتلقى في هيكل معين، هو في الواقع وصف لعناصره المكوّنة الثانوية ويجب استكمال قدر الإمكان من خلال وصف البنية الأوسع التي تشمله بشكل مباشر. ومثل هذا الوصف يشبه وصف الشكل الأول؛ وتلقى الشكل الثاني. وبعبارة أخرى، في مرحلة «التلقى»، يصف الباحث التماسك الداخلي للعمل الأدبي ويبحث العمل الأدبي في شكله؛ وفي مرحلة «الوصف»، يدرس تأثير البنية السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية للمجتمع في العمل الأدبي، وبالطبع، فإن ذلك لا يتم دون علاقته بشكل العمل بأكمله. وفقاً لنظرية جولدمن هناك العديد من الآراء المهمة التي يجب مراعاتها. أولاً: لا يمكن للشخص وحده أن يكون خالقاً للعمل الأدبي، لذا فإن خالق العمل الأدبي هو عامل جماعي متجذر في

المجتمع المحيط به. ثانياً: هناك علاقة مباشرة بين البنية الثقافية للطبقة الاجتماعية التي ينتمى إليها مبدع العمل والشكل المهادف للعمل. ثالثاً: إن علاقة الحياة الاجتماعية لمبدع العمل بالبنية العامة والشكل الأدبي ترتبط بالوعى الاجتماعى؛ وأخيراً، فإن وحدة وتماسك العمل الأدبي هي سمة فريدة من نوعها لشكل البنيوية التطورية. كلما زادت دقة العلاقة بين وعى الفئة الاجتماعية والنظرة العالمية لشكل العمل، كلما كان العمل الأدبي أكثر تماسكاً. ومع أخذ هذه المبادئ في نظر الاعتبار، سيكون من الممكن بسهولة اجتياز مراحل التلقى والوصف لتحليل بنية هادفة تكشف مصدر النظرة العالمية في سياق العمل الأدبي.

### الأوضاع الاجتماعية في فترة سنائي

نبدأ الحديث في هذا السياق بعبارة للدكتور شفيعى كدكنى: «إن سنائي شاعر مستاء من الأوضاع المحيطة به ويكافح بشدة كل ظلم واضطهاد اجتماعى وتعسف للحكام، وهذه الميزة جعلت شعره يعدّ من أفضل القصائد الاجتماعية والسياسية في اللغة الفارسية ما يمكن اعتباره أكبر شاعر اجتماعى في تاريخ الأدب الكلاسيكى الفارسى». (١٣٨٦ش: ٤٠-٣٩)

وما هو ملفت للانتباه هنا، كيف ولماذا اتجه سنائي إلى الخطاب الصوفي برؤيته المؤلمة لوضع المجتمع من حوله؟ بغض النظر عما تزويه الأساطير حول "التطور الفكرى" في حياة سنائي التي أشارت إليها بعض الكتب التاريخية، (صفا، ١٣٧٣ش: ٥٥٣)، فإن الاتجاه نحو الخطاب الصوفي، على أى أساس من المعرفة السوسولوجية تكوّن؟ خاصة في فترات معينة من التاريخ (أى القرنين الخامس والسادس الهجريين بشتى أنواع الأفكار والاتجاهات الفقهية والدينية السائدة في تلك الحقبة)، مما يغير من الشكل والمضمون (وبشكل عام، شكل العمل)، ويمهد الطريق لدخول الخطاب الصوفي في الشعر الفارسى. في حين أن قبل ذلك كان المدح وإطراء القادة والملوك وفي حالات أخرى، الأشعار التعليمية والوصف والرثاء والهجاء، هي الأغراض السائدة. لكن يمكن عزو أسباب التغيير في هذا الاتجاه، بغض النظر عن رغبة الشاعر النفسية، إلى حقائق تاريخية

تعود لفترة حياة سنائي الاجتماعية، فهي جعلت منه شاعراً ينتقد الأوضاع الاجتماعية في عصره. وفي مجال الأخلاق والسلوك والعادات السيئة مثل "شرب الخمر، البلطجة، مجالسة الرعاع، المجون، اتباع الهوى، الجشع، وما إلى ذلك، يبدو أنها كانت سائدة في عصر سنائي، خاصة التغزل بالذكر والميل إلى الغلمان الذي ضاعف من حضور الغلمان الأتراك وحدّ من العلاقة بين الرجال والنساء ما تحوّل إلى مرضٍ مسرٍ في المجتمع.» (پارسا نسب، ١٣٩٣ش: ٩٦)

في مجال التحيزات الدينية والميول الفكرية والعقائدية، تعدّ الحياة الاجتماعية في فترة سنائي، أي القرنين الخامس والسادس الهجريين، أحد أصعب الفترات في التاريخ الاجتماعي والديني لإيران. في تلك الأيام، كانت الصراعات الدينية بأشكالها المتنوعة حرباً كانت أم عمليات اغتيال، مستمرة لعدة أسباب، بما في ذلك تشدّد الحكام أنفسهم وظهور طوائف فكرية مختلفة. «لم تقتصر التحيزات الدينية في هذه الفترة على النقاشات والخلافات بين الفقهاء حول الحرب وسفك دماء الجماعات المختلفة ... فكانت الصراعات بين السنة على ترجيح الدين الحنفي والشافعي أو حول موضوع الجبر والاختيار؛ أو حول رؤية الخالق أو عدم رؤيته أو في ترجيح المذهب الأشعري، المعتزلة، الكرامى، وما إلى ذلك، وبين السنة والشيعة في نزاعات مختلفة، وبين جميع تلك المذاهب مع الباطنية، والمناقشات الطويلة والشائكة التي أدت في كثير من الأحيان إلى عقد الاجتماعات وتأليف الكتب، وقد تؤدي إلى اتخاذ موقف أو التخلي عن عقيدة وقبول عقيدة أخرى وأحياناً تؤدي إلى القتل وقطع اللسان والمثلة، وما إلى ذلك.» (صفا، ١٣٧٢ش، ج ٢: ١٤٩)

أدى تنوع الأديان والاتجاهات الفكرية المتعددة التي كان بعضها مدعوماً من الحكام وبعضها انزلت لأسباب مختلفة، إلى خلق ظروف خاصة لهذه الفترة من التاريخ الاجتماعي في إيران، مما أدى إلى ظهور بعض اللاأخلاقيات والسلوكيات السيئة من جانب أتباع المذاهب والاتجاهات الفكرية المختلفة. في ظل هذه الظروف، أدخل سنائي من خلال تغيير أيديولوجيته أسس الخطاب في مجال الأدب والشعر، والتي أصبحت نماذج منه فيما بعد من أروع ما يمتلكه مخزون الأدب الفارسي.



## البحث والدراسة

حسب ما جاء، فإن البنية التطورية التي هي امتداد لمسار ورؤية جورج لوكاش<sup>١</sup>، ومن ثم منهج ميخائيل باختين<sup>٢</sup> حيث واصل ذلك المسار بطريقة أخرى، فإنها تدرس العلاقة بين المجتمع والفن بطريقة دقيقة وبنوية. يقول باختين: «من المستحيل دراسة الخطاب بشكل صحيح عن طريق فصله عن المتكلم أو فصله عن العلاقات الاجتماعية والتاريخية من حوله. لذلك، فإن أي ازدواجية أو تعددية واضحة أو غامضة، حتى في طريقة النظرة إلى المجالات المختلفة من السلوك البشري، هو في رأيي باطل ومدان مسبقاً لكونه يؤدي إلى صورة غير مكتملة وغير متوافقة مع هذا الواقع.» (جلد من، ١٣٩٢ ش: ١٨٤)

وهكذا، فإن تحليل البنية التطورية لحديقة سنائي يتم على مرحلتين. المرحلة الأولى هي "التلقى" (وهو وصف العلاقات الأساسية لخلق بنية هادفة) والمرحلة الثانية هي "الوصف" (وهو إدراج بنية ذات معنى في بنية أوسع تكون البنية الأولى أحد العناصر المكونة لها).

## مرحلة التلقى

في هذه المرحلة، يخضع العمل الأدبي للبحث والدراسة في بنيته. لهذا السبب، تتم دراسة عناصر فكر سنائي التي تشكلت في ذاكرته أساساً، بغض النظر عن علاقاتها التناقضية. ذلك لأن تقييم وبيان دلالاته الفكرية في الأبعاد الاجتماعية، والسياسية، والثقافية وما إلى ذلك، يتعلق بمرحلة "الوصف" ما يدعو بالضرورة إلى تحليل أفكار سنائي في إطار البنيات الاجتماعية لتلك الفترة التاريخية.

يمكن الإشارة إلى بعض ازدواجية سنائي أولاً في أشعاره التي نظمها في مدح أمير المؤمنين خلال مناظراته مع الأشعريين؛ أو اتجاهه الصوفي في حين أنه يُعرف بالشاعر المتشرع؛ ثانياً: الازدواجية الموجودة في "حديقة..". ويرجع ذلك بشكل عام إلى التحول الفكري الذي طرأ على سنائي وهو بدوره متأثر بالحالة المتوهجة للأديان والأخلاقين من أتباع الطوائف المختلفة خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين. لهذا السبب،

1. György Lukács (1885 – 1971).

2. Mikhail Bakhtin (1895 – 1975).

في مرحلة "التلقى"، يتم دراسة العناصر الدينية والكلامية لسنائي ضمن البنية الهادفة في عمله. وفي مرحلة "الوصف"، يتبين مدى تأثير هذه المعتقدات بالبنية الاجتماعية والثقافية الشاملة للعصر.

## ١- التوحيد الأفعالي

معنى التوحيد هو أن جميع الذوات، بل جميع الأفعال تتم بمشيئة الله تعالى وإرادته. «نفى المعتزلة هذا التوحيد لأنهم اعتبروا الإنسان حرّاً وصاحب اختيار وإرادة في جميع أفعاله. وتوحيد أفعال الأشعريين يعني أيضاً أنه ليس لأى مخلوق أى أثر وأن جميع الآثار تأتي مباشرة من الله؛ وبالتالي، فإن الله سبحانه وتعالى هو مصدر أفعال العباد مباشرة. وهذا الاعتقاد بلا شك يدل على الجبر، ولكن التوحيد الأفعالي لدى الشيعة، هو أنه ضمن الاعتقاد بأصالة نظام الأسباب والمسببات، فإن الأثر بسبب قرب، قائم بذات الله تعالى وهذا القيام عرضي لا يتداخل بعضه بعضاً.» (مطهرى، ١٣٧٧ش: ٦٦)

سنائي أيضاً ضمن اعتقاده بأصالة نظام الأسباب والمسببات، يرى أن الأثر قائم بذات الله وتابع له وغير مستقل ذاتاً:

كن أنت صالحاً، ما شأنك بالقضاء والقدر. (سنائي، ١٣٧٧ش: ٩٢)؛

كما يعتقد أن الله تعالى مصدر جميع الآثار والأفعال:

خذ الجبر فمن "ما رميت"، ودع عنك القدر من "إذ رميت". (المصدر نفسه: ١٦٤)

## ٢- عدم إمكان رؤية الله تعالى

ركز سنائي في خطابه أكثر على جانب التطهير والجمع بين (التشبيه) التنزيه والتنقية. فقد خصص الباب الأول من كتاب حذيقة الحقيقة إلى التحميد والتنزيه والتوحيد، بالإضافة إلى موضوعاته الفرعية مثل المعرفة والوحدة ووصف العظمة والتطهير والجوهر ودرجات الحفظ والتأمل وحكمة الرزق والتوجيه والتقديس والإنشاء والشكر، إلخ. ذاته المقدسة منزّهة عن التمثيل، صفاته منزّهة عن أى تخييل. لم يلد ولم يولد، لا نهاية ولا مستقبل له المذكور.

ليس له كفو ولا يشبهه أحد وليس له مثل منزّه من المصاهرة. (المصدر نفسه: ٨٣)  
يذكر سنائي بصراحة أن الله لا يمكن رؤيته بالعين المجردة، لا في هذا العالم ولا في الآخرة. كما يعتقد أن معرفتنا المحدودة لا تدرك رؤية ذاته، ولإثبات ادعائه، يستشهد بفشل موسى (عليه السلام) في رؤية الله في بعض الآيات:  
يعجز العقل عن رؤيته، وإلا سيخرّ صعقا كموسى.

عندما تجلّى عليه الإله، همس موسى إني تبت إليك. (المصدر نفسه: ٩)  
كما أنه في مكان آخر واستناداً بالقرآن الكريم ينفي "التجسد" و"التشبيه" من الذات الإلهية ويعتقد أنه إذا نُسب إليه عرش أو منزل، فذلك إكراماً له وتعريفاً به إلى الخلق:  
قد جاء وصف الإله في سطور الكتب أنه منزّه عن مماثلة الأجسام.  
فقول ينزل الله في الأحاديث ليس بالتجسيد، فلا تصور مجيئه وذهابه كالبشر.  
عرشه ليس إلا إكراماً له وتجيلاً، والكعبة مجرد تعريف به لا غير. (المصدر نفسه: ٦٦-٦٥)

إن معرفة الخالق لا تدرك بالوهم والفكر والحس والقياس. هذه الأدوات هي الأدوات الوحيدة التي يمكن للبشر من خلالها معرفة حقائق الكون، والخالق، لذلك لا تفهم هذه الأداة طبيعته وجوهره لأن جوهره يتفوق عليها. كما يعتقد أنه ليس فقط الذات الإلهية، ولكن صفاته أيضاً لا يدركه العقل البشري على الإطلاق. كلما حلّقت الحكمة في سماء المعرفة أكثر، كلما تفوّقها الحق تعالى في مرتبة أعلى وأرقى، لأنه يستحيل إحاطة المحاط بالمحيط والمخلوق بالخالق:

هو خالق الوهم والخيال، وهو خالق العقل والإنسان.  
منزّه عما قاله الأغبياء، وأكثر تنزيهاً مما قاله العلماء.  
الوهم والخيال ليس كافياً لمعرفة، وهو لا يدرك بالوهم والخيال.  
(المصدر نفسه: ٨٢)

### ٣- خلق الله

يعتبر سنائي غزنوي، في بعض الآيات، أن الغاية والغرض من الخلق مبني على هذا

الحديث: «كُنْتُ كَنْزاً مَخْفِيًّا فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُعْرَفَ فَخَلَقْتُ الْخَلْقَ وَتَعَرَفْتُ إِلَيْهِمْ فَعَرَفُونِي.» (فروزانفر، ١٣٧٠ش: ٢٩) شأنه في ذلك شأن العديد من الصوفيين، يقول سنائي مشيراً إلى هذا الحديث القدسي:

خلقك الله لأمر، فأراد أن يُعرف بك.

قال كنت كنزاً مخفياً، فخلقت الخلق لأُعرف. (سنائي: ٦٧)

كما يعتقد سنائي أن خلق الكون رحمة منه وفضلاً. لقد خلق الله الكون لسخائه وكرمه. يقول سنائي موضحاً غرض الإله من الخلق:

خلقك الإله تحنناً منه، ونشأت في ظل رحمته.

تتنعم بالحياة من رحمته، وروحك باقية من لطفه.

بصفات قهر الخالق ولطفه، يخرج الحي من الميت والميت من الحي. (المصدر نفسه:

١٠٠)

إن "نظام الكون"، هو من أهم النظريات اللاهوتية التي اقترحت عليها نظريات مختلفة. يقول الإمام محمد الغزالي في كتابه "الاقتصاد في الاعتقاد" حول نظام الكون: «لَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ أَبَدُ عُمْرٍ مِمَّا كَانَ.» (الغزالي، لاتا: ٢٢) وفيما يتعلق بهذه القضية، يعتبر سنائي أن خلق ظواهر الخلق وأمورها هي العدالة بعينها وحكمة الخالق فيها ويقول سنائي:

اولئك الجاهلون السارقون، يريدون أن يخدعوا العقل.

بينما صنعه عدل وحكمة جليلة، ملكه قهر وكبرياؤه وارته المحجب.

(المصدر نفسه: ٨١)

## ٥- التولى والتبري

هذا المبدأ هو أحد العناصر المهمة في فروع الدين الشيعي الاثني عشرى. يقول سنائي:

لأجله قال المصطفى للإله يا ربّي وال من والاه (المصدر نفسه: ٢٤٩)

وهذا ما يشير إلى قول النبي صلّ الله عليه وآله حول الإمام على عليه السلام: «من

كنتُ مولاه فهو على مولاه اللهم والٍ من والاه وعادٍ من عاداه؛ في هذا الحديث، يعتبر السنة أن الولي يعني الود والحبيب، ولكن الشيعة يعتقدون أنه يعني أولى بالتصرف. «(خاتمي، ١٣٧٤ ش: ١٣٥) ويعتبر سنائي أن هذا الحديث يدل على أن الإمام علي خليفة الرسول عليه الصلاة والسلام:

هو مدينة العلم وعلى بابها هو نبي الله وعلى وليه (سنائي: ١٩٨)  
كما أن الحكيم سنائي كان له ولاء خاص بالإمام الحسين عليه السلام وشهداء كربلاء:

ليتحدث الرسول عن الحسين ...  
ليقول إن أكثر القوم شراً وشقاءً رضوا بقتل آل الحسين.  
دخل القاتل النار، بينما ارتقى المقتول بجوار الرسول. (المصدر نفسه: ٤٢٢)  
وبكل حماس ينشد لظهور الحجة فيقول:  
أيها المنجي متى تزيل أحابل الدجال بصحبة المسيح.  
في هذه الأيام العصيبة، العدل خير هبة يقيمه المهدي. (المصدر نفسه: ٥٨١)

## ٦- الموت والمعاد

يعتقد سنائي أنه مع الموت، ينتهي العمل بالجسد المادي، ويبدأ السعي إلى تحقيق المتعة العقلية والمعرفة حتى يتحقق ذلك بالفعل. والنفس تنال مشاهدة المقرّبين وتكون جليسة القديسين وأى سعادة بعد تلك. لهذا السبب، يدعو سنائي إلى ترك مساحة العالم المادي والاستماع إلى دوى العالم الداخلي للإنسان:  
تبراً من هذا العالم، واتجه نحو روضة الروح.  
فذلك العالم أرقى من هذا، وتراه أبقى من هواء هذا العالم.  
افتح عينيك لكي ترى العالم، وتراه ببصر قلبك.  
إذا حاولت ترك عالمك الدوني، فترقى إلى هناك حيث الراحة.  
ترافق عندليب البستان وتكون جليساً للأولياء. (المصدر نفسه: ١٢٠-١١٩)

## ٧- الجنة والنار

وفق ما يعتقد سنائي، فإن الجنة ببركاتها الأبدية تدعو الإنسان إلى نفسه؛ وعلى السالك أن يحرص ألا تغرّه الحياة الدنيا بزيتها السريعة الزوال وزخرفها غير المستدامة، وألا يغفل عن تلك النعم. بشكل عام، يصف سنائي جنتين ويعرّفهما على أن إحداها جنة "مادية" والأخرى "إلهية"، وهى ما تعادل جنة أصحاب اليمين والمقربين الذين ذكرهم الله تعالى في القرآن. يعتقد سنائي أن الجنة المادية تحتوى على ملذات مادية ومحسوسة، لكن الجنة الإلهية تتضمن الملذات العقلية والروحية:

الطير والخور في الجنة المادية، والحكمة والدين في جنة الإله.

ليس هناك قوت غير جمال الإله، للعشاق في جنة الإله.

من هو عبد للخور والغلمان، ليس من الأسياد فهو غلام.

ومن يقف في حضرة الإله يتغنى بالحبيب كالعندليب

إذا اتصف بالصفاء وتغذى بخالص القوت، يرى الملك من عالم الغيب والملكوت.

(المصدر نفسه: ٤٥١)

## ٨- الكشف والشهود (المكاشفة والمشاهدة)

يتحقق فهم الحقائق لدى أهل العرفان والتصوف ضمن مقام الكشف والشهود. «الكشف في مصطلح الصوفية هو الكشف عن المراتب والقضايا التي لا تدخل في الفهم والإدراك البشريين، وهو الإحاطة بما وراء الحجاب التي تشمل المعاني الخفية والشؤون الحقيقية.» (كوهرين، ١٣٨٣ش، ج. ٩: ٦٢) والشهود هو رؤية الحقيقة حقاً... «ووجود قلب القلب وكل ما هو موجود في القلب هو شاهد عليه، والموجود هو مشهود.» (المصدر نفسه، ج ٧: ٥٨). يعتقد الصوفية أنهم بالسير والسلوك يبلغون درجة من المقام والمرتبة يمكنهم من خلالها إزالة حجاب عالم الغيب حيث تنكشف الحقائق الغيبية لهم. تسمى هذه المرتبة بالمكاشفة أو المشاهدة.

المكاشفة أو الكشف؛ هو حالة تحدث لشخص عند اليقظة أو تحدث أحياناً بين النوم واليقظة لا يدركها الآخرون. تحدث هذه المكاشفة أحياناً عندما يكون الشخص نائماً.

وقد يجرب الشخص حالة المشاهدة بعيون مفتوحة عند اليقظة. إن منزلة فهم الحقائق ودركها تُعرف بالكشف والشهود لدى الصوفية الإسلامية. ويعتقدون أنهم من خلال سير تلك المراتب يصلون إلى مستوى من التصوف يتم فيه إزالة حجاب عالم الغيب وتكشف لهم الحقائق الغيبية، وتسمى هذه المرتبة بالكشف عن المشاهدة. لم يتحدث سنائي كثيراً عن المشاهدة عن طريق الشهود بل كلامه عن المشاهدة محدود، وفي حديثه عن الذكر يقول: الذكر يفيد السالك في جزء من سلوكه وينبغي استخدامه في طريق المجاهدة، لكن السالك يصل درجة من السلوك، يكون الذكر فيه مجرد هباء منشور لا غير. وفي هذه المرحلة أي مرتبة المشاهدة لا مكان للذكر فيه:

ليس للذكر مكان إلا في المجاهدة، وليس للذكر مكان في المشاهدة.

بعد أن كان الذكر كل شيء في البداية، ولكنه يكون لا شيء في النهاية. (سنائي: ٩٥) من الواضح أن موضوع قصائد الشعراء الصوفية منبثقة عن الكشف والمشاهدة وتتجلى هذه المراتب بشعر يجري على لسانهم. ولا شك في أن المعرفة الشهودية كانت وما زالت محط اهتمام الأدب الصوفي أكثر من أي نوع آخر من مراتب التصوف والعرفان. يعتبر الصوفية أن الكشف والشهود هو الطريقة الوحيدة لمعرفة الحقيقة، ومن خلال الكشف والشهود، يكتسبون معرفة بالحقائق الغيبية. وفي هذه المرتبة من الكشف، يتجلى الإله لهم بأشكال مختلفة. ويتنعم الصوفية "بالذات الإلهية" عن طريق تجاربهم الشهودية وكشفهم عن الحقائق، ثم شرحوا صوراً رائعة لما رأوه من جمال الصورة وروعيتها. كل مشاهداته حصلت في تلك المرتبة؛ من سلك هذا الطريق بلغ الحق اليقين. بالمجاهدة والمكابدة ترتقى تلك المرتبة؛ فاصنع لنفسك السلم لتبلغ أسباب السماوات.

حينها تتكشف لك الحقائق الغيبية، وتطلع على كل تفاصيل عالم الغيب.

(المصدر نفسه: ٩٨)

في الواقع يمكن القول إن «المعرفة الوحيدة التي قبلها سنائي بشكل كامل ويدعو الآخرين بإليها باستمرار، هي المعرفة الشهودية والمعانية.» (أحمدى، ١٣٨٨ش: ٥٩) هذا النوع من المعرفة الذي هو لدنّي ومن جانب الإله، يقوم على الكشف والشهود؛

وبالتالى، لا مكان للشك والوهم فيه، ويمكن للصوفي أن يحقق "عين اليقين" بهذه الطريقة. يتبين من كلام سنائى فى هذا الصدء، أنه يعتبر هذا النوع من المعرفة معرفة تامة لتجلى الله فى قلب السالك ولتطابقها مع الحقائق. وفى أعماله كلها، يطلب من الجمهور اكتشاف أسرار الغيب عن طريق التحلى بالعلوم الدينية والبحث عن أسرار الغيب. للتعبير عن هذا المعنى، استخدم سنائى الرمز التمثيلى المحسوس. ك"السحابة والشمس". فى هذا الرمز التمثيلى، يفترض الشاعر وجود السالك بمثابة سحابة عندما يتم إزالتها، تسطع حينها شمس المعرفة:

بمعرفة الشمس ووجود السحابة، يتحقق طريقه إلى السماء وبمركب الصبر

(سنائى: ٤٧٩)

وكذلك:

ما دمت لا تعرف الحقيقة فلا لقاء ورؤية، ورؤية الحق يبصر القلب تتحقق.

(المصدر نفسه: ٣)

## ٩- الحفظ والمراقبة

«المراقبة عند أهل السلوك، دوام النظر بالقلب والوقوف عند الحدود والشبهات وأن تعلم أن الله تعالى على كل شىء قدير. وقيل: حقيقة المراقبة أن تعبد الله كأنك تراه. والمراقبة على ضربين: مراقبة العام من الله تعالى خوف ومراقبة الخاص من الله رجاء. والمراقبة هى أن العبد يسيقن بأن الله مطلع عليه بكل حركاته وسكناته وكل أسرارته.» (سجادی، ١٣٨١ش: ٧١٠)

بعتقد سنائى أن السالك فى هذه المرحلة من سلوكه عليه أن يستخلص نفسه حتى لا يحول بينه وبين الإله حجاب. وروى عن النبى صل الله عليه وآله: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

من أعانه الله فى كل شىء، ترى نسيح العنكبوت يحجبه.

(المصدر نفسه: ٣٠)

يمتدحه التمساح، والتنين يطلب رضاه.

يرى سنائى، أن فى المرحلة الأولى من المراقبة، يتيقن للسالك بأن الله مطلع على



سريرته حتى لا يدخل السوء من الأفكار والشر من الأعمال الشيطانية في قلبه، وبما أنه يرى الله الرقيب على جميع حالاته قلماً يتبع هوى النفس وتغلبه وسوسة الشيطان. المرحلة الثانية من المراقبة، هي أن السالك ينسى الكون أثناء الحفظ والمراقبة، أي يكون وجود الكون وعدم وجوده سواء لديه. ويكون شديد المراقبة في ألا يطالع العبد غير حده ولا يراقب غير ربه ولا يقارن غير وقته. والمرحلة الثالثة من المراقبة عند مراقبة أهل السلوك والعرفان، هي أن هؤلاء القوم يراقبون الله ويطلبون منه تعالى أن يراعيهم أثناء المراقبة أي أن الله يتولى شؤونهم، ويفضله، يجعلهم مثلاً لـ "وهو يتولى الصالحين". ويستخلص السالك في هذه المرحلة نفسه لله ويقوم بتزكية نفسه حتى لا يكون بينه وبينه الله حجاب.

قو نفسك بالدين وكن عادلاً، ما لك تركض كالكلب العقور.

أقول لك هذا أيها اللاهوري، لأنك بعيد عن حدود جمال الحق.

ولكن من استخلص نفساً لربه، فالكعبة تطوف حوله.

إنك لست كالثوم في قشرة واحدة، وإنما نفسك ملفوفة بالقشور كالصل.

(المصدر نفسه: ٢٦٧)

## ١٠- آداب السير والسلوك

تُظهر دراسة أعمال سنائي وخاصة حديقة .. في عملية السير والسلوك الصوفي، أنه يولي اهتماماً خاصاً للأبعاد التجريبية للتصوف، بما في ذلك المراتب والأحوال، والتجربة الصوفية من وجهة نظره تمرّ عبر هذه المنازل والمراتب مع مراعاة الشريعة. يعتبر سنائي أن الشريعة هي جسر للحقيقة واكتساب المعرفة والتي بدونها لن يتمكن السالكون في سيرهم وسلوكهم العرفاني من الوصول إلى المنزل. وفي تطرقه إلى الأحوال الصوفية، يتجه بشكل خاص نحو السمات المعرفية للتجارب العرفانية. وبعد عرضه لأنواع المعارف يرضخ لمعرفة واحدة وهي تلك المعرفة الشهودية التي يعتبرها ناتجة عن تجلّي وظهور الحق تعالى على قلب السالك الذي لا يرى غير الإله ولا وجود لغيره وكل ما هو موجود تابع لوجوده.

إن للسير والسلوك إلى الله، مقامات ومراتب ولا يرى السالكون طريقاً يرشدهم إلى مقصودهم إلا عن طريق سلوك هذه المراتب والمنازل. وفي ظل اجتياز هذه المقامات تطرأ حالات عرفانية على السالكين. وتلازم هذه الحالات العرفانية علامات تصدر من جانب المحبوب الأزلي وتمنح السالكين حياة جديدة. ويعدهم بالوصل ويعينهم على سلوك المقامات العرفانية. هناك عدد قليل جداً من الأبيات التي تتحدث عن الدلالات والمصطلحات الصوفية فيما يخص المنازل والمقامات العرفانية في حديقة سنائي. ولكن في المقابل نجد شواهد كثيرة تقدم المفاهيم والتعاليم الأخلاقية في شكل حكايات ورموز تمثيلية. ومن بين أشعاره أعمال يعتقد سنائي أن على السالكين الأخذ بها في السير والسلوك العرفاني، بالإضافة إلى ذلك، يجب أن يكون لديهم التزام عملي، ومن تلك الأعمال التي أشار إليها سنائي كطريقة للسلوك، رياضة النفس، التجريد، الذكر، المراقبة، القناعة، الحاجة، الزهد، الصبر، الشكر، التوكل، والرضا، وواجب هذه المراحل، يرتقى السالك مدارج سلوكه العرفاني.

وهنا إشارة إلى نماذج وشواهد من أبيات تمثل مراحل السير والسلوك في حديقة سنائي:

### ١. مجاهدة النفس

لا توصلك شهوتك إلى الجنة، ولا إلى الحور والقصور إلا بقتلها.

(المصدر نفسه: ٢٩٠٤)

### ٢. التجريد

- من أراد الولاية بالتجريد، ومن يبحث عن الهداية بالتوحيد ..  
لا يرى في نفسه سكينه وطمأنينة ولا في حياته ارتياح وهدوء.

(المصدر نفسه: ١١١)

### ٣. الذكر

الظلم في حكمتها عدل، والحياة بدون ذكره هباء.

من يبكى من الحب فهو مبتسم، والقلب الذي لا يذكره فهو السندان  
أصبحت بأمان، لأنه ذكرت اسمه، وسرت في طريق السلوك. (المصدر نفسه: ٩٤)

#### ٤. القناعة

لا تحب من لا تعرفه، فالروث خير من مسك لا تعرفه.  
لا تطلب حاجتك من أهل الزمان، فاطلب من الخالق ما تتمناه.  
اعتبر الخلق مجرد صورة لا غير، ولا تطمع في شيء من الخلق. (سنائي: ٧٢٩)

#### ٥. الحاجة

مادام في القلب باب للحاجة مفتوح، فليدخل فيه ويحصل ما يحصل.  
(المصدر نفسه: ٧٠٣)

#### ٦. الزهد

أصل الزهد أن يوصلك إلى الطريق، وإلا ما للزاهد من قيمة تذكر.  
(المصدر نفسه: ٢٦٤)

#### ٧. الصبر

صبر الرجال إذا كان مقروناً مع الحلم، وإذا عرفوا أن الخلق مع الحلم يكتمل،  
(المرجع نفسه: ٧٦٣)

فمعرفة الشمس ووجود السحابة هي الطريق إلى السماء ومركب الصبر.  
ومن يطمح بعالم آخر، لا بد أن يصل إليه إذا كان يتحلى بالدين.  
(المصدر نفسه: ٤٧٩)

#### ٨. الشكر

إن المؤمن شاكرٌ لأنعمه ورحمته، والكافر يشكو من سخطه وجبروته.  
(المصدر نفسه: ٤٢٤)

## ٩. التوكل

الملك سلك طريق الضلال، وبالتوكل سار أهل السلوك والعرفان.

(المصدر نفسه: ٥٦٦)

مادام الخلق في عالم الأسباب، فجميعهم في سفينة الغفلة نيام.

(المصدر نفسه: ٥٦٩)

## ١٠. الرضا

كن سعيداً منه وكن حذراً من دينه حتى تجد رضاه وطاعته. (المصدر نفسه: ٤١٦)

إذا لم يكن الرضا بالعيش، والله لست تعرف الإله.

أنت العارف بأن الرضا هو أعلى المراتب عند الإله. (المصدر نفسه: ١٦٣)

## الوصف

وفقاً لنظرية جولدمن، فإن هذه المرحلة مخصصة لوصف العمل الأدبي في سياق البنية السياسية والاجتماعية والثقافية وما إلى ذلك، والتي تعتمد على «تحديد مجمل البنيات الاجتماعية السائدة آنذاك؛ حتى يمكن دراسة الجوانب المختلفة من معيشة أفراد المجتمع والبلد بأسره.» (فرضى وقيادي ساميان، ١٣٩٢ش: ١٤)

تعد فترة حياة سنائي، وقبل ذلك بقليل، فترة خاصة في تاريخ الإسلام بسبب التطورات الاجتماعية والثقافية، وكذلك المسار التاريخي "للدين" وظهور الفرق المختلفة. فقد تسببت عوامل متعددة في تدمير النظم والإجراءات الاجتماعية في هذه الفترة من التاريخ، كاختلاف السنة مع الشيعة، واختلاف الشيعة الاثني عشرية والشيعة الإسماعيلية وخلافاتهم مع الزيديين، واختلاف الأشعريين مع المعتزلين، وتشدد الشافعيين والحنفيين بشأن أفكارهم، والمواقف المتشددة للفقهاء والمتشرعين مع الميول الصوفية. واختلاف الفقهاء والمتشرعين مع الطوائف الإسلامية الأخرى، والصراعات بين الغزنويين والسلاجقة، والاختلافات الحادة بين الحكام السلاجقة أنفسهم، وهيمنة العبيد الأتراک ودعم مجموعة فكرية معينة. «إن هذه الأوضاع تركت بصماتها بشكل

جلي وواضح في الشعر والأدب في القرن السادس الهجري. فأكثر الشعراء في هذه الحقبة أقبلوا على الانتقاد الشديد للظروف الاجتماعية وقليل منهم امتنعوا عن ذلك، كما أنهم أطلقوا آهات مؤلمة وما هي إلا انعكاس للرأى العام.» (صفا، ١٣٧٢ش، ج ٢: ١٢٤)

فالظروف الخاصة في تلك الفترة جعلت سنائي يخضع لبعض التغييرات والتطورات في شعره. لقد كان "حكيمًا" ووعيه للأوضاع الاجتماعية أثرت بشكل عميق على أفكاره. لهذا السبب، نرى على الرغم من أن سنائي يعتبر «شاعراً سنياً شعرياً يعتقد بالجبر» (شفيعى كدكنى، ١٣٨٧ش: ٣٩)، إلا أن ميله إلى الشيعة والشيعة الاثني عشرية بالذات، والميل إلى الصوفية، والميل إلى مراعاة الأخلاق يتجلى في شعره، وبالتالي يبدو سنائي وكأنه يتفاعل مع الاتجاه الصوفي العرفاني رداً على الخطابات المعارضة في عصره. لهذا السبب، ندرس في موضوع "الوصف"، العناصر الفكرية لسنائي في معارضته لأنظمة الخطاب الموجود في عصره.

## ١. نظام الخطاب عند أهل الكلام

يطلق على الأشاعرة والمعتزلة، "المتكلمين" أو "أهل الكلام" أى من له القدرة على إطلاق الكلام والخطاب والعارف بفنونه. وعلم الكلام في الواقع هو الجدل والديالكتية التي تسعى إلى إثبات المعتقدات الدينية عن طريق البرهان والاستدلال العقلي. و«يختلف الأشاعرة والمعتزلة كل الاختلاف في بابي التوحيد الصفاقي والتوحيد الأفعالي. فالمعتزلة يدعمون فكرة التوحيد الصفاقي وينكرون التوحيد الأفعالي؛ بينما الأشاعرة على عكسهم في هذه العقيدة.» (مطهرى، ١٣٧٧ش: ٣٥) والأشاعرة يعتقدون بالجبر ويعرفون بالقدرية أى أنهم يعتقدون بالقدر والتقدير. والجبريون يعتقدون أن العباد لا اختيار لهم ولا إرادة وأن الفاعل لكل شىء هو الله. كما يرون أن اختيار الإنسان وفاعليته ينفي التوحيد الإلهي وهو شرك. والتوحيد في عقيدة الأشاعرة يستلزم الاعتقاد بأن الخالق هو الفاعل المطلق والقدرة المطلقة. لذلك، يعتبرون كل ما هو موجود ويمكن أن يحدث، فهو معلول إرادة الحق تعالى مباشرة. لكن "المعتزلة" يؤكدون على التوحيد

الإلهي ويعتبرون التوحيد بمعنى أن صفات الله وجوهه واحد، وفي الواقع، إنهم يسلبون الصفات من الخالق، أي أنهم يؤمنون بالتنزيه. ولكن هذا الأمر يرجع إلى الاستدلال العقلي، أي أن المعتزلة يقولون إن العقل يحكم بأن توحيد الله يستلزم عدم التعددية في الله، وبالتالي لا يمكن أن تكون صفات الله تابعة لذاته، لذلك فإن جميع الصفات الإلهية واحدة ومتشابهة. وما هي إلا جوهر الحقيقة، وإلا، فإن الله لا يمكن أن يكون واحداً. لذلك، فإن الأشعرين لديهم وجهة نظر جبرية والمعتزلة يعتقدون "بإرادة" الإنسان. وأما الشاعر سنائي فيؤمن بـ "الجبر"، وهذا الجبر هو الموقف الذي أصبح فيما بعد أكثر قوة في مجال التصوف الإسلامي.

سبب رزقك إلى الخير والشر، ليس بالأسباب كالأمطار والأحصاد،  
أؤمن برزاق دون حساب، فكل ما لدى من الرزق والحياة منك أنت.

(سنائي: ١٠٧)

وإن كان سنائي يعرف بأنه "أشعري" و«سنائي دون شك يؤمن بقوة أصول العقيدة الأشعرية. وتكوّنت أفكاره أساساً وفق آراء ومعتقدات الأشاعرة بكل حذافيرها.» (روستائي، ١٣٩٣ش: ٥٦) إلا أنه فيما يخص المعرفة الإلهية والاعتقاد بالتوحيد الأفعالي والتوحيد الصفاقي، لديه رؤية مغايرة عن رؤية الأشاعرة. فهو يعتقد أن معرفة الخالق إنما تتحقق بذاته وآثاره (أفعاله) معاً والفضل الإلهي يعين الإنسان ويرشده في هذا الطريق:

لا يعرف الإله الإنسان وحده، فمن خلال ذاته وقدرته يعرفه. (سنائي: ٦٣)  
في حين أن هذه العقيدة يتمسك بها "المعتزلة" و"الشيعة" في أنهم يعرفون الإله بذاته وعن طريق صنعه وأفعاله. كما ورد في الكافي: «إعرفوا الله بالله.» (كلميني رازي، لاتا: ٨٦) وهذا ما يخالف رأى الأشاعرة وبعض الفرق الإسلامية في هذه الفترة كالإسماعيلية الذين يعتقدون بأن معرفة الله تحصل عن طريق معرفة الأنبياء وتصديقهم بوجود الحق تعالى. أو على سبيل المثال، في سياق "رؤية الله" ومناقشة "التجسد" و"التشبيه"، يختلف سنائي مع النظرة التوحيدية للأشاعرة، الذين «يؤمنون بإمكانية رؤية الله في الدنيا وحدوث الرؤية في الآخرة.» (صدر حاج سيد جوادى والأخرون، ١٣٦٨ش: ١٨٦)

ويتفق مع معتقدات "المعتزلة" و"الشيعة".

وكذلك في مناقشة التوحيد الصفاتي، خلافاً لآراء الإسماعيليين والأشاعرة، فهي أقرب إلى وجهة نظر المعتزلين التي تزيل أى صفة من الله وتؤمن بوجود صفات لله: أدعوه بالقابض والباسط والمجيد، والعالم والقادر والواحد. جوهره الظاهر خالٍ من الصفات المحسوسة، إنما صفاته بالسمع والبصر تُدرك.

(سنائي: ١٧)

«وفيما يخص العدالة، لدى سنائي وجهة نظر مزدوجة كبعض المباحث الكلامية الأخرى؛ يعتقد في بعض الأحيان أن الطالحين يستحقون الجحيم، وأن الصالحين يستحقون الجنة. وهذا الرأي قريب من وجهة نظر الشيعة، لأن جزاء أعمال الصالحين يرجع إلى فضل الله ورحمته؛ وعقابه على أعمال الطالحين هو العدل بعينه.» (أسداللهي، ١٣٨٦ش: ٩٦)

لا شك أن الفاسقين يدخلون نار جهنم جزاء لهم. (سنائي: ٢٨٤)

وفيما يتعلق بطبيعة "الحادث" و"القديم" للقرآن، يتفق سنائي مع الأشعريين في نفهم أن القرآن حادث:

كلامه من شدة اللطافة والطلاقة، لا يوصف بلسان.

صفاته ليست بمحادث وكلامه لا تستوعبه الحروف. (المصدر نفسه: ١٧١)

من جانب آخر، عندما «أراد المعتزلة إرغام الناس على اتباع معتقداتهم بسلطة من الخليفة، مما أدى إلى القتل وسفك الدماء والسجون والتعذيب والتشرد، ومن ورائه سخط المجتمع الإسلامي.» (مطهرى، ١٣٧٧ش: ٥٦)، جعلت مثل هذه التصرفات سنائي يستاء أكثر من أفكار وسلوكيات المعتزلة.

إن الوضع الخاص في تلك الفترة، مثل تقوُّس الظروف في التعبير عن أفكار سنائي التي كانت تنشأ في بعض الأحيان عن العقل وأحياناً عن القلب، تشير إلى الأوضاع الاجتماعية في عصره. كما تُظهر تصرفات الطوائف المختلفة التي كانت تسعى بكل قوة لفرض معتقداتها على الآخرين من خلال الحرب والقتل، وأحياناً بدعم من الحكام وأخرى بدونهم، أن الجو الاجتماعي لتلك الفترة كان بعيداً كل البعد عن الأخلاق.

فتلك الفترة التي كانت فيها الفروض الأخلاقية شديدة لدرجة أنه لا يمكن علاجها بإلقاء النصح والإرشاد، فلا بد أن تستدعى مثل تلك الظروف ظهور نوع خاص من الخطاب.

## ٢. نظام الخطاب السياسي السائد

وفقاً لنظرية جولدمن، إن كل عمل أدبي يتكوّن وفق السياق التاريخي التابع له؛ وهذا يعنى أن الفكر يركّز على قضايا وأزمات العصر ويبيّن الارتباط الجدلي الديالكتيكي للنصوص مع الخطاب الفكرى السائد في ذلك العصر. في عصر سنائي، «لم يكن هناك مجال لطرح قضايا جديدة وتفسيرات مختلفة ومغايرة بسبب انعدام الحرية وهيمنة التحيز. وبنية المجتمع هي بنية أحادية الفكر، وبسبب هيمنة الفقه الحنفى والشافعى على الميول الفكرية الأخرى، لم تكن هناك فرصة للتعبير الحر عن الأفكار والمعتقدات.» (منوچهرى وهنرى، ١٣٩٣ش: ١٤٢). وشكّل الخطاب الأشعرى أهم عنصر سائد في الفضاء الفكرى واللغوى لعصر سنائي. فيعدّ عصره عصر الانحطاط الفكرى والفلسفى. تبيّن النزاعات الخطابية بين الطائفتين المعتزلة والأشعرية، بمساعدة الخلافة العباسية والسلطين الغزنويين والسلاجقة، هيمنة الخطاب الأشعرى، خاصة مع إنشاء المدارس العسكرية ودعم العملية المناهضة لفلسفة الإمام محمد الغزالي، ما أدى إلى انتشار الاتجاهات المناهضة للعقل. «كان سنائي يعيش في فترة يسيطر عليها الفكر الأشعرى؛ وقد دفع هذا، بعض العلماء إلى اعتبار أن بناءه الفكرى تشكّله مجموعة من وجهات النظر الأشعرية والأفكار التي تنفى في نهاية المطاف العقل وحرية الإرادة؛ وإنكار أى مسعى بشرى. يؤدى إلى نتيجة مثمرة.» (شفيعى كدكنى، ١٣٨٧ش: ٣٩) من الواضح أنه في مثل هذه الحالة، فإن المفكرين الذين لا يتفقون مع الإطار العام للخطاب السائد بسبب بعض التحفظات السياسية والضغوط الاجتماعية، يعبرون عن أفكارهم المبتكرة في كلمات وعبارات العصر المعتادة. لذلك، يبدو أن بعض الصراعات الفكرية لدى سنائي ترجع إلى هذا الفضاء الفكرى والاجتماعى الخاص. ولكن هناك أدلة واضحة على أن سنائي ابتعد نوعاً ما عن أسس الأشاعرة المعرفية يمكن رؤيتها لعدة أسباب:



«أولاً أن سنائي هو صوفي طموح يسير في طريق السلوك، ومن المؤكد أنه عندما يصل الإنسان إلى حالة الوعي الباطني من الشهود، لم يعد بإمكانه أن يبقى متكلماً بالمعنى المصطلح عليه... ثانياً أن أحد المعتقدات الأساسية للأشاعرة، هو الإيمان بإنكار الإرادة الحرة للإنسان. ونتيجة هذا الاعتقاد، هو ترك الواجبات والتخلي عن المسؤوليات الاجتماعية البشرية. بإنكار الإرادة، لا يبقى مجال للرفض والاحتجاج... ولكن فيما يخص سنائي، فبعد تحوُّله الفكري، نرى بوضوح احتجاجه وانتقاده للظروف السياسية والاجتماعية والأخلاقية للمجتمع... والثالث هو أن اهتمام سنائي بمبدأ العدالة على المستوى الوجودي هو سبب آخر واضح لتمييزه الفكري عن الأشعرين. وكما هو واضح، فإن المتكلمين الأشعرين لا يعتبرون العدل جوهرًا أساسياً للمبادئ ولا يؤمنون بالحسن والقبح الذاتيين للأمر وهو مصدر معنى العدالة. ومع ذلك، فإن سنائي يعتقد بأن نظام الكون يقوم على العدالة. والنتيجة هي أن أفكار سنائي تفوق أفكار المتكلمين الأشاعرة.» (إبراهيمي دينا، ١٣٨٩ش: ٢٦٧)

وهكذا، فإن السمات المحددة للخطاب السياسي السائد بسبب القيود المفروضة على التعبير عن الآراء، تسبب بطريقة ما، في توجُّه المفكرين والخطباء نحو استخدام الأساليب اللغوية واللغوية المبتكرة.

### ٣. الأخلاق الاجتماعية

من خلال إدخال المصطلحات والأسس الفكرية التحليلية المتعلقة بـ "الموت" و"القيامة" و"الجنة" و"المحيم" و"العدل" و"السلطة" وما شابه ذلك في مجال الشعر، يعكس سنائي في الواقع الانحراف الأخلاقي في عصره. «يرى سنائي أن أهم أزمة يعاني منها المجتمع، هي أزمة الاضطهاد. إن عسف السلطة واستبداد الإقطاعيين والملاكين الكبار لأصحاب الأراضي الصغيرة والفلاحين في فترة الغزنويين، تبين لنا بوضوح السبب الذي جعل سنائي يؤكد في خطابه الشعري على العدل والإنصاف. يذكر أن في فترة حكم الغزنويين، لم تتحمل الطبقة الحاكمة من كبار الملاكين أعباء الضرائب بينما وقع على عاتق الفلاحين والطبقة ذات الدخل المتوسط، دفع الضرائب الباهظة وتمويل

الغزوات، ما عرّض الحياة الريفية والزراعة للخطر والتهديد. من هذا المنطلق اتجه سنائي إلى مراعاة مبدأ العدالة وتجنب الاضطهاد والاستبداد.» (منوچهرى وهنرى، ١٣٩٣ش: ١٤٧)

وبالتالى، فإن موقف سنائي واتجاهه بسبب معرفته بانحرافات الحكام وأيضاً انحراف الناس عن طريق الصواب؛ وتأثرهم بالتفكير الجبرى، جعله يقترح نمطاً آخر لإصلاح المجتمع. وذلك التخلّى عن حياة الترف والتوجه نحو النفس. فى الواقع، فإن الاتجاه نحو نوع جديد من الخطاب، هو وصفة جديدة يقترحها سنائي لأهل زمانه. فى هذا النوع من الاتجاه الجديد، يكتسب الإنسان من خلال المراجعة إلى نفسه معرفة لا تقبل أبداً الاختلافات بين الأديان «إن موقف التصوف والعرفان تجاه المذاهب المختلفة هو أنه مع التأكيد على الحب الإلهى، يعتبر الاختلافات بين الأديان والطوائف الإسلامية وحتى غير الإسلامية نزاعات عقيمة بلا جدوى.» (زرقاتى، ١٣٨١ش: ١٥٠). وعلى هذا الأساس، وبسبب هذه النظرة الوجودية فى ساحة الأنتروبولوجيا، يعتبر سنائي أن جميع البشر يستحقون الرحمة الإلهية، رغم العديد من نقاط الضعف لديهم؛ ويعتقد أن كل دين ومعتقد، لديه سبب أو وسيلة للوصول إلى الله كل حسب قدراته.

#### ٤. التمديدية والجماهير

تعدّ فترة سنائي حقبة تاريخية يمكن مشاهدة آثار عدم الاستقرار السياسى وفوضى الخطاب الدينى بوضوح على الاقتصاد والزراعة فيها. إن انتشار الفساد والفقر والانحطاط الأخلاقى، إلى جانب قمع الأتراک وإيقاف نشاطات الفن والأدب، حوّل الناس إلى مجرد شىء أو متاع يستغله أتباع المذاهب أو الحكام والتابعون للسلطة. ووفقاً لنظرية جولدمن، «يشكل الإنتاج أهم هاجس للسوق، واحتياجات المستهلك ليست مهمة بالنسبة إليه، وإنما السلع وإنتاج السلع هما الشغل الشاغل فى السوق، وتؤدى العلاقة غير الصحية، إلى تدمير العلاقة الواعية بين البشر واختراهم إلى حادث عرضى هو.» (عسكرى حسنكلو، ١٣٩٤ش: ١١٧-١١٦)

وبناءً على ذلك، أظهرت دراسة الوضع الاقتصادى والفكرى والثقافى لعصر سنائي

أنه تم تجاهل جميع الاحتياجات الاقتصادية والمعيشية وحتى الفكرية والأخلاقية للشعب في ظل الجدالات الخطابية بين الطوائف المتعطشة للسلطة. وكأن الناس لا وجود لهم في المجتمع. فالتعصبات الدينية جعلت المجتمع أحادي الصوت. هذا المجتمع هو مجتمع حيث «كل شيء فيه سواء؛ نوع الإنتاج والعرض، والسوق والسلع، ولا يشاهد فيه أى تغيير على مر العصور. في عصر سنائي، أدى إنشاء نوع من الفكر الأشعري ونظام الحنفية الشافعية الفقهية في خراسان إلى أن تكون جميع جوانب الحياة روتينية متكررة مملّة.» (شفيعى كدكنى، 1387ش: 54). في مثل هذه الأجواء، يعرض سنائي مواضيع من مجال الزهد والتصوف مثل "التوحيد، المعرفة، المراقبة، المجاهدة، الموت، الغفلة، التولى والتبرى، الابتهاال، الذكر، الشكر، النعمة، إلخ"، من أجل توعية الجماهير وتهذيبها ويعرض الشاعر هذه المفاهيم أحياناً بلغة مجازية وأحياناً بنبرة سلطوية وخطابية. هنا أيضاً، يستخدم سنائي بذكاء نبرة الخطاب السلطوية، لأنه يعرف أن في مجتمع قد اعتاد ناسه على نظام استبدادى، لن تكون للغة النصح والإرشاد أى تأثير وفاعلية.

## 5. الشعر المثنوى

قد يبدو واضحاً حقيقة أن العديد من النصوص المماثلة لحديقة الحقيقة قد كتبت في شكل "المثنوى" بسبب طبيعتها "السردية". ذلك لأن الشاعر يواجه قيوداً أقل في هذا النوع من الشعر ويمكنه إثراء عمله باستخدام لغة رمزية تمثيلية وحكايات كما شاء. لكن سنائي أظهر أن قصائده تعدّ من أروع القصائد في اللغة الفارسية لتمييزها بـ "الزهد والمثل". «إن ما يميّزه عن أقرانه هو أنه كان قادراً على توسيع نطاق الموضوعات الشعرية التي كانت تقتصر على الثناء والهجاء ووصف الطبيعة، وتكريسها على مواضيع في مجال الزهد والأخلاق والنقد الاجتماعى... وقد أبدع سنائي بالفعل في زهدياته والشعر الاجتماعى؛ فبالإضافة إلى إدخاله مباحث جديدة في القصيدة، فهو يعدّ رائداً من حيث أسلوب المعنى والبناء وشكل العمل الأدبى.» (شفيعى كدكنى، 1387ش:

(54-55)

وهذه الميزة يمكن ملاحظتها في مثنوى الحديقة. وعلى الرغم من أن شكل القصيدة له

خصائصه الفريدة من حيث البنية، إلا أن سنائي كان له دور فاعل في ترقية هذا الشكل من الشعر باستخدامه "الأداء الصحيح للمعنى" و"البناء المناسب للشكل"، أى انسجام المعنى والمبنى. خاصة أنه وظفها في المفاهيم الصوفية. النقطة المهمة هي أن سنائي يقترح التخلي عن الحياة المادية والتفرغ إلى النفس من أجل تربية المجتمع الذى عانى من الانحراف بسبب السجلات الخطائية. ولكنه ومن أجل التواصل مع جمهوره، شعر بضرورة لغة مفهومة في شعره يعيه كل أصناف المجتمع من عامة الناس و يترك أثراً فيهم. لهذا السبب، ساهم "شعر المثنوى" بشكل كبير في صوفية سنائي وعرفانيته.

وكذلك تبين دراسة النبرة واللغة والأسلوب وشكل "الاجتماعات" التى كان يعقدها الوعّاظ والمتكلمون في تلك الفترة، أن هناك علاقة مباشرة وهادفة يمكن ملاحظتها بين البنية الاجتماعية لتلك الفترة وبنية سنائي الشعرية. وبعبارة أخرى، استخدم سنائي بذكاء الأسلوب التنفيذى لتلك الاجتماعات في شعره. في مثل هذه الاجتماعات، يستخدم الوعّاظ لغة مفهومة للجمهور ويقتصرون دائرة المعاني على مصطلحات بسيطة من الزهد والأمثال. ولتفهم الجمهور، يعبرون عن الجمل والتركيب النحوى للكلام بشكل متوازٍ يقوم على بنية "التكرار"، نفس الأسلوب الذى سلكه سنائي في الحديقة. "إن توجه سنائي نحو المثنوى للتعبير عن الأفكار الصوفية يشير إلى أن هذا الشكل يمنح الشاعر الحرية النسبية من حيث البنية وحتى اللغة. وبما أن الشاعر يدرك تماماً أن المرسل إليه لهذا النوع من الشعر لم يعد ملكاً للبلاط أو العلماء والشعراء والأدباء؛ بل على العكس، فهو يعلم أن الشعر الصوفى له مكانة خاصة في المجتمع ولدى عامة الناس، فيمكن اعتبار اختياره لشعر المثنوى دليلاً على وعيه الاجتماعى السليم." (پارسانسب، ١٣٩٢ش: ١١٦)

### النتيجة

لاشك في أن شعر سنائي له مكانة خاصة في نطاق الأدب الفارسى لدوره البناء في إدخال المضامين الصوفية والعرفانية في ساحة الشعر الفارسى. ولكن لماذا وكيف فعل سنائي ذلك وما دفعه بشكل أساسى إلى التفكير في التوجه نحو الخطاب الصوفى؟

ملاحظة تستدعي التوقف والتأمل والتي بالطبع يمكن الحصول عليها بالاعتماد بشكل كبير على النظريات التي يتم طرحها اليوم في علم اللغة أو علم الاجتماع. فقد حقق هذا البحث استناداً إلى النظرية النقدية وتحليل البنية التطورية للوسين جولدمان النتائج التالية:

- إن نشر الجدالات الخطابية بين الطوائف والأديان المختلفة ولأسيما الاتجاهات الاحتكارية للديانة السننية الحنفية والشافعية منها في مواجهة المدارس الشيعية الإسماعيلية والزيدى والاثني عشرية وكذلك الأشعرية والمعتزلة، كل ذلك دفع الشاعر سنائي لكى يتجه نحو الخطاب الصوفي (العرفاني) في تلك الفترة الحساسة من التاريخ. في مرحلة "التلقى" من هذا البحث، عرضنا أمثلة على أهم العناصر الفكرية لسنائي، وبيّنا أنه في البنية العامة الهادفة ينحرف سنائي كونه شافعيّاً وأشعريّاً عن التحيز الذي كان مشهوداً لدى أتباعه. على سبيل المثال يعتقد سنائي أن خلق الكون من مظاهر الرحمة الإلهية ونتيجة فضله الله تعالى. كما أن الله تعالى خلق العالم ليفيض على الكون بلطفه وكرمه. وهذه العقيدة تذكرنا برأى المعتزلة والشيعية في اللطف والصلاح والأصلح. إن "قاعدة اللطف" والرأى القائل بأن العالم وكل ما فيه "لطف إلهي" تشكل أحد مبادئ التصوف (العرفان) الإسلامى الذى وسّعه فيما بعد عطار وجلال الدين الرومى وابن عربى. وهكذا، فإن سنائي قد بث روحاً جديدة في فضاء خطاب تلك الحقبة، بعيداً عن التحيز واتجاهه الفكرى الخاص به (الذى ربما كان بفعل المصلحة). إنه العصر الذى أراد فيه أتباع أى نظام خطابى نقل أفكارهم إلى الآخرين بقوة السيف والحرب والقتل والتهديد. وفي مثل هذه الظروف من التدهور الأخلاقى والفكرى، كان من الضرورى بمكان ظهور خطابٍ بديع قائم على الإنسانية والحب ويطل على العالم من نافذة أكثر جمالاً وإبداعاً.

- كان النظام السياسى الحاكم مبنياً على الدين الشافعى ويميل إلى الأشعرية. ووفقاً للعقيدة الأشعرية، لا يعتبر المتكلمون الأشعريون أن العدالة ضمن أصول الدين. ولا يؤمنون بالحسن والقبح الذاتيين وهما منشأ مفهوم العدل. فى حين أن سنائي يرى أن نظام الكون يقوم على العدالة. ويُستنتج من هذه المواجهة الخطابية أن سنائي

تجاوز حدود أفكار المتكلمين الأشعريين ليتجه نحو خطابٍ يعيد الحب والعدالة والولاء والصدق إلى المجتمع.

- إن جانباً من الانتقاد الموجه إلى حديقة سنائي يتعلق بالأخلاق والعادات السيئة والسلوكيات المرفوضة من قبل الناس حيث كانت منتشرة بين أصناف المجتمع المختلفة من شعراء المدح ورجال الشوارع والأطباء المعتوهين وعلماء الفلك الجاهلين وعلماء الوقت والقضاة الجائرين والمؤمنين غير المؤهلين والزهاد المنافقين، فجميعهم كانوا هدفاً للنقد الذي كان يوجهه سنائي لهم. في الواقع، كان المسار التاريخي الذي بدأ في القرنين الثالث والرابع الهجريين والطريقة التي سلكتها الحكومة الغزنوية والحكومة السلجوقية في تربية الاتجاهات الدينية المترمّمة، هما سبب ظهور مثل هذه الأخلاق الاجتماعية في تلك الفترة حيث ظلت المبادئ الفكرية السائدة في تلك الفترة كالمعتزلة والأشاعرة متشيّثة في ظاهر الدين، مثل قضية "الجبر والاختيار" التي إما تؤمن بالجبر المطلق وإما بالاختيار المطلق. بينما كانت المعتقدات المتجدّرة والفعالة مثل الشيعة الإثني عشرية مستترة ولم تكن هناك فرصة للتعبير عن معتقداتها وآرائها، هكذا بقيت العديد من الطبقات الاجتماعية والعديد من علماء الدين متستّرين تحت غطاء الدين، وسرعان ما قادهم هذا العجز إلى الفساد والدمار. وفي خطوة لمواجهة هذا الفساد الاجتماعي، قدّم سنائي خطاباً حول التعاليم الصوفية في الشعر الذي كان له طابعاً أخلاقياً أكثر من أي شيء آخر، مثل ترك الدنيا، تركية النفس، تجنب النفاق، الزهد، الخوف من الموت والالتفات إلى "النظام الأحسن" للكون، الطمع في الجنة والخوف من النار والقيامة و... - في فترة من التاريخ وبعد أن تعودت الجماهير على الاستبداد، وكانوا كالشئ (السلعة) في خدمة الطبقة السائدة، وكانت الضرائب باهظة وكثيراً ما يتعرض عامة الناس للضغوط الفكرية والثقافية والاقتصادية، وقد تم تجاهل جميع الحاجات الاقتصادية والمعيشية وحتى الفكرية والأخلاقية للجماهير في ظل المجدالات الخطابية لأصحاب القدرة، يرى سنائي وهو شاعر الاحتجاج والنقد والإصلاح ومتعاطف مع جماهيره، يرى حاجة المجتمع في انتشار خطابٍ يمتاز بنبرة قوية ومؤثرة يُعرض بلغة الزهد والتمثيل، وبإمكانه توعية الناس وإيقاظهم من سبات الغفلة. ومن ثمّ يرشدهم

إلى طريق النجاة والسعادة بفعل تعديل السلوكيات الاجتماعية.  
- بالإضافة إلى السجلات الخطابية هذه، والتي أدت إلى توجه سنائي نحو الخطاب الصوفي أو العرفاني، فإن اختيار "شعر المثنوى" ساعد سنائي كثيراً. يقترح سنائي التخلي عن الحياة المادية والاتجاه نحو الذات والنفس لتربية المجتمع الذي عانى من الأاخلاق بسبب التنازع الخطابي بين الأديان والمذاهب المختلفة. ولكن من أجل التواصل بشكل نزيه مع جمهوره، يحتاج إلى لغة مفهومة في شعره تكون مناسبة لأهل الشارع والسوق. لهذا السبب، اختار سنائي "شعر المثنوى" بقدر استطاعته دون أن يكلفه عناء، بل بالعكس فإن شكل المثنوى بالإضافة إلى إعطاء الشاعر الحرية النسبية في نظم الشعر، فإنه يعطيه إمكانية في تنفيذ نفس الأسلوب الذي كان ينفذ في "اجتماعات يقوم فيها الوعاظ لإلقاء خطابهم" في هذه الفترة.

### المصادر والمراجع

- ابراهيمى دينانى، غلامحسين. (١٣٨٩ش). دفتر عقل و آيت عشق. ط ٢، طهران: طرح نو.  
احمدى، جمال. (١٣٨٨)، چشمه زندگى. سنندج: نشر دانشگاه آزاد اسلامى واحد سنندج.  
پارسا نسب، محمد. (١٣٩٢ش). جامعه شناسى ادبيات فارسى. ط ٣، طهران: انتشارات سمت.  
حسينى، مريم. (١٣٩٢ش). ثنائى سنائى (مجموعه مقالات همايش بين المللى حكيم سنائى). طهران: خانه كتاب.  
خاتمى، احمد. (١٣٧٤ش). بررسى كلامى مسأله امامت (يادنامه دكتور محمد جواد مشكور). تحقيق: سعيد ميرمحمد صادقى. طهران: پايا.  
زرقانى، سيدمهدي. (١٣٨١ش). زلف عالم سوز. تهران: نشر روزگار.  
سجادى، سيد جعفر. (١٣٨١ش). فرهنگ اصطلاحات و تعبيرات عرفانى، ط ٦. طهران: طهورى.  
سنائى، ابوالمجد مجدود بن آدم. (١٣٧٧ش). حديقة الحقيقة و شريعة الطريقة، تصحيح: محمدتقى مدرس رضوى. تهران: مؤسسه انتشارات و چاپ دانشگاه تهران.  
شفيعى كدكنى، محمدرضا. (١٣٨٧ش). تازيانه هاى سلوك: نقد چند قصيده از حكيم سنائى. طهران: اگه.  
صدرحاج سيدجوادى، احمد و همكاران. (١٣٦٨ش). دايره المعارف تشيع. طهران: سازمان دايره المعارف تشيع.  
صفا، ذبيح الله. (١٣٧٢ش). تاريخ ادبيات در ايران. ط ١٢. طهران: فردوس.

عسگری حسنکلو، عسگر. (۱۳۹۴ش). جامعه‌شناسی رمان فارسی. چاپ اول. تهران: نگاه.  
 غزالی، ابوحامد محمد. (بی‌تا). الاقتصاد فی الاعتقاد. تصحیح؛ ابراهیم آگاه. لامک: لانا.  
 فروزانفر، بدیع‌الزمان. (۱۳۷۰ش). احادیث مثنوی. ط ۵، طهران: امیرکبیر.  
 کلینی‌رازی، محمد بن یعقوب. (بی‌تا). اصول کافی. ترجمه و شرح؛ سید جواد مصطفوی. قم: انتشارات علمیة اسلامیة.  
 گوهرین، سید صادق. (۱۳۶۸ش). شرح اصطلاحات تصوف. طهران: زوار.  
 گلدمن، لوسین. (جولدمن، لوسین). (۱۳۹۲ش). درآمدی بر جامعه‌شناسی ادبیات. تحقیق و ترجمه؛ محمد جعفر پوینده. طهران: نقش جهان.  
 مطهری، مرتضی. (۱۳۷۷ش). آشنایی با علوم اسلامی (کلام، عرفان، حکمت عملی). مجلد ۲. ط ۲۰. طهران: صدرا.

### المقالات

اسداللهی، خدابخش. (۱۳۸۶ش). «بازتاب اندیشه‌های کلامی شیعه در آثار سنایی غزنوی». فصلیه‌ی آینه‌ی معرفت. جامعه‌ی شهید بهشتی طهران. العدد ۱۱. صص ۱۰۲-۸۳  
 روستنایی، قلندر. (۱۳۹۳ش). «بررسی تأثیر اوضاع اجتماعی و فکری بر دیدگاه‌های خردگرایانه ناصر خسرو و سنایی». رساله‌ی ماجستير، فرع اللغة الفارسیة و آدابها. جامعه‌ی ولی عصر: رفسنجان.  
 شهبازی، آرزو و حسینی، مریم و عسگری حسنکلو، عسگر. (۱۳۹۳ش). «نقد ساخت‌گرایی تکوینی رمان همسایه‌ها اثر احمد محمود». فصلیتا مطالعات داستانی. السنه ۲. العدد ۳. صص ۹۰-۶۶  
 فرضی، حمیدرضا و قبادی سامیان، پریسا. (۱۳۹۲ش). «بررسی رمان دختر رعیت محمود اعتمادزاده بر اساس دیدگاه ساخت‌گرایی تکوینی لوسین گلدمن». فصلیه‌ی بهارستان سخن. السنه ۹. العدد ۲۱. صص ۱-۲۲  
 منوچهری، عباس و هنری، یدالله. (۱۳۹۶ش). «دلالت‌های سیاسی اندیشه‌ی سنایی». فصلیه‌ی مطالعات تاریخ اسلام، العدد ۲۲. صص ۱۵۳-۱۲۴